

أضواء البيان

@ 39 @ يَتَوَفَّي السَّادِينَ كَفَرُوا ° الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ °
وَأَدْبَارَهُمْ ° { الآية وقوله تعالى : } وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ
الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ { وقوله تعالى : } فَكَيْفَ إِذَا
تَوَفَّيْتَهُمْ ° الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ° وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ° { وأما رؤيتهم الملائكة يوم القيامة فلا بشرى لهم فيها أيضاً ، ويدل لذلك
قوله تعالى : } وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَائِلَ لَقُضِيَ الْآمْرُ لَكُمْ لََّا يُنظَرُونَ } .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { لََّا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ } يدل
بدليل خطابه : أي مفهوم مخالفته ، أن غير المجرمين يوم يرون الملائكة تكون لهم البشرى ،
وهذا المفهوم من هذه الآية جاء مصرحاً به في قوله تعالى : { إِنَّ السَّادِينَ قَالُوا °
رَبُّنَا اللَّهُ ° ثُمَّ اسْتَقَامُوا ° تَتَذَكَّرُ لُ عَلِيَهُمْ ° الْمَلَائِكَةُ أَلَّا °
تَخَافُوا ° وَلَا تَحْزَنُوا ° وَأَبْشِرُوا ° بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة . { وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا } أظهر
القولين فيه عندي أنه من كلام الكفار ، يوم يرون الملائكة . لا من كلام الملائكة وإيضاحه :
أن الكفار الذين اقترحوا إنزال الملائكة إذا رأوا الملائكة توقعوا العذاب من قبلهم ،
فيقولون حينئذٍ للملائكة : حجراً محجوراً : أي حراماً محرماً عليكم أن تسمونا بسوء أي
لأننا لم نركب ذنباً نستوجب به العذاب ، كما أوضحه تعالى بقوله عنهم { السَّادِينَ
تَتَوَفَّيَاهُمْ ° الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ° فَأَلْقَوْا ° السَّلامَ ° مَا كُنَّا
نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } فقولهم :
ما كنا نعمل من سوء : أي لم نستوجب عذاباً فتعذبينا حرام محرم ، وقد كذبهم □ في
دعواهم هذه بقوله : { بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } وعادة
العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، أنهم يقولون هذا الكلام : أي حجراً محجوراً عند لقاء
عود موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك . .

وقد ذكر سيبويه هذه الكلمة أعني : حجراً محجوراً في باب المصادر غير المتصرفة
المنصوبة فأفعال متروكة إظهارها نحو : معاذ الله ، وعمرك الله ، ونحو ذلك